

المفردة القرآنية في تفسير آلاء الرحمن



www.balagh.com

إن "تفسير الآية يعتمد على تحديد معاني مفرداتها القرآنية، بعبارة أخرى أن "تصوراً عاماً" لمفردات الآية يجعل من السهل بمكان بيان هذه الآية المباركة، وتفسير الجملة العربية بحاجة إلى هذا البيان اللغوی أو التوضیح الاصطلاحي لهذه المفردات.

والبلاغي وإنْ كان وفيما لطريقته في الاختصار، لكن ذلك لم يمنعه من عرض البيانات اللغوية والتوضيحية للمفردات. وقد كانت للمفسر طريقة واضحة في مثل هذا التناول يمكن بيانها على نقاط: 1- كان للبلاغي اهتمام واضح بالألفاظ، وله عنایة كبيرة بالتركيب العام للآية، لكنه لم يعرّف بألفاظ الآية جميعها حين تكون واضحة ولا حاجة لبيانها، فقد يعرض للمفردة من الناحية اللغوية، وأحياناً لمفردات أخرى يعرض لمعانٍ لها الاصطلاحية، ففي معنى (تَحَسَّسُونَهُمْ) من قوله تعالى: (وَلَقَدْ صَدَّقَكُمُ اللَّاهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحَسَّسُونَهُمْ بِإِذْنِهِ...) (آل عمران/152).

أي تقتلونهم بنصر الله ومشيئته. وفي التبیان، الحسن: هو القتل على وجه الاستئصال. وفي النهاية، حسونهم بالسيف حساً استأصلوهم قتلاً، وفي الكشاف، تقتلونهم قتلاً ذريعاً. وعلى هذا يدور كلام اللغوين في كتابهم. قال صلاة بن عمرو:

نفسي لهم عند انكسار القنا وقد تَرَدَّى كلْ قَرْنٍ حَسِيساً

كذلك يُعني (الكلالة) بقول البلاغي: عن الفراء، الكللة، ما خلا الوالد والولد سموا كلالة لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب، من تك الشيء إذا استدار به، فكل وارث ليس بوالد للميت ولا ولد فهو كلالة مُورثة. كما نقل معناها أيضاً عن التبيان والصحاح والكتاب². ضمن ما يستند عليه من مصادر هي كتب أهل اللغة والتفاسير التي تهتم بالجوانب اللغوية للمفردات كالبيان والكتاب ومجمع البيان³. ومن جهة أخرى يُبين المفسر هذه المفردات من غير المصادر اللغوية، فهو يعرض لمعانيها غير اللغوية، وبالتالي تُعينه على بيان الآية المراد تفسيرها⁴.

2- يهتم المفسر ببيان معاني هذه المفردات حين تكون غريبة، أو تسبب غموضاً أو توهماً أو اختلافاً، من جهة أخرى فهو يدقق ويمنع في التمييز في اللقطة لبيان مؤداها القريب والظاهر المتباين منها، ففي معنى (فتيل⁵) من قوله تعالى (وَلَا تُظْلِمُونَ فَتَبَلِّا) (النساء/77) ذكر البلاغي مقدار الفتيل وهو في تفسير القمي: القشر على النواة، وفي التبيان الذي في شق النواة، وكذا في المصباح والنهاية، وذكر في الدرر أر⁶ الذي في شق النواة. وعن ابن عباس ما فرج بين الإصبعين أي من الوسخ والغرض من ذكر الفتيل هو قلته وحقارته⁵. كذلك حين تكون المفردة فيها من الاستغلاق ما يدعوا لبيانها كما في معنى (يستحيون) من قوله تعالى (...يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كُمٌ وَيَسْتَحِيُونَ نِسَاءَ كُمٌ) (البقرة/49). فكان لهم بتركهن طلبوا حيا تهن.

كذلك اللقطة حين تكون غريبة كقولهم (راعنا) في (...لَا تَقُولُوا رَاعَنَا وَقُولُوا ازْطُرْنَا) (البقرة/104). فقد تتبعها البلاغي في كتابهم، أي كتب أهل الكتاب. فوجدها تعني الشر والقبيح وتسمى عندهم (قاصرا) كما في العهد القديم العبراني، وفي الفصل الثاني والثالث من السفر الأول من التوراة، وفي الفصل الأول من السفر الخامس وغيرها، وراعنا في العربية فسراها في التبيان (استمع مما ونستمع منك) وقد نُهي المؤمنون عن قول ذلك لرسول الله (ص) لئلا يتخدذها اليهود في خطابهم لرسول الله (ص) وسيلة لسبه والطعن في الدين⁶.

من جهة أخرى فهو يميز ويمنع في التمييز بين بعض الألفاظ حين تدعو الحاجة لذلك، كما في (العدل والقسط)، يتبع البلاغي موارد استعمالها ليحدد الفرق بينهما⁷، كذلك في الريب والشك والجحود⁸.

3- اهتم البلاغي بمعالجة التوهם الظاهري الذي يعترض نص الآية، ويأتي هذا الاهتمام والحرص على حفظ ظاهر النص باعتباره حجة لدى المفسر، ويؤكد أن صريح الكتاب المنزل ومحكمه وبيناته لا تبقى مجالاً للتوهם، فلم يختلفوا لخفاء دلالته وإشكالها، بل وقع الاختلاف بغياناً حاصلاً بينهم، وإنحرافاً من بعضهم عن الحق، وزيفاً إلى البغي ليموه⁹ الباغون أمرهم بالتشبه بالمتشبهات. وهناك الكثير من الأمثلة على هذا النوع من الاهتمام، نسوق منها للتوضيح:

في قوله تعالى (وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يُشَيِّرُونَ إِلَى الْحَقِّ) (البقرة/61)، فهل هناك قتل للنبيين بحق؟ يقول البلاغي:

والصفة الازمة لقتل النبيين كونه بغير حق كقوله تعالى: (لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) (المؤمنون/117)

في قوله جل^ل شأنه (وَمَنْ بَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَّا هُنَّ أَخْرَى لَهُ بِهِ فَإِنَّهُمْ^ا
حَسَابُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ) (المؤمنون/117). وكذلك في نسبة الشقاء لادم في قوله تعالى: (فَلَا
يُخْرِجَنَّ كُمَّا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَدَشِّقُ^ا) (طه/117). وذكر البلاغي: أي تقع في الشقاء العيش
ومشقته، وتأكد دلالة السياق على ذلك أنس^ه نسب الشقاء إلى آدم دون زوجته نظراً لما جرت به العادة
في الأرض للرجل.⁹

4- ويهتم ببيان معاني بعض الألفاظ حين يتوقف عليها المعنى في الآية، ويكشف عنها بمقدار ما يعين على
المعنى، لكن قد يفصل في هذا البيان لمفردة معينة حين يكون ثمة خلاف أو حاجة تدعو لمثل هذا
التفصيل حتى ولو على سبيل ذكر أقوال عديدة في المفردة.¹⁰

فهو يوجز في بيان المفردات فيكتفي في معنى (التلقي) من قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ
رَبِّهِ كَلِمَاتٍ...) (البقرة/37).

أنّه أخذ آدم للكلمات من الله باستقبال وقبول وتعلم وعمل وفي معنى (الهدي) من قوله تعالى: (فَمَنْ
تَبَدَّعَ هُدَىٰ إِلَيْهِ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْذَرُونَ) (البقرة/38). ذكر أنّها الرسالة
والآيات ودلائل الحق.¹¹

5- ويستعين أحياناً في بيان المفردة القرآنية - إضافة إلى كتب اللغة والتفاصيل والآيات القرآنية
المباركة - بالروايات مؤيداً إياها بما ورد من الشعر العربي القديم.
ولم يكتف البلاغي بذكر المعاني والأقوال في المفردة بل غالباً ما يرجح بين هذه الأقوال حين تدعو
النecessity لمثل هذا الترجيح.

ففي معنى (الفتنة) من قوله تعالى: (وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ
لِتَّهِ) (البقرة/193). قال البلاغي: في التبيان، الفتنة: الشرك وهو المروي عن أبي جعفر ثم علق
على ذلك: ولعله باعتبار أنّه بسبب الافتتان إذ يسبب الصلال ويصرف عن الحق كقوله تعالى:
(وَاحْذَرُوهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكُمْ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ) (المائدة/49).

كما يستفاد من الآيات الست التي ذكرها، والروايات عن الرسول (ص) وأئمة أهل البيت: في تحديد معنى
(حق تقاته) من قوله تعالى: (إِنَّمَا تُقْتَلُوا اللَّهَ أَنْ يَحْقِّقَ تُقْتَلَهُمْ) (آل عمران/102). فيبيّن أنّ معنى
حق: هو ما يحق ويليق بحاله من تقاته، ثم يذكر لذلك المعنى الروايات لينتهي إلى: حق تقاة العبد
أن يتقى في جميع ما أزلمه¹².

وفي معنى (ذات) من قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ بِذَاتِ الصَّدُورِ) (للمان/23) أيّد ما
اعتمده¹³ من معنى بالشعر العربي القديم.

6- وفي ترجيحه للأقوال في معاني المفردات ذكر في معنى (الفاحشة) من قوله تعالى: (وَالْأَذْنِينَ إِذَا
فَعَلُوا فَاحْشَةً أَوْ طَلَمُوا أَرْضَفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ^ا)
(آل عمران/135). معناه عن المصباح والقاموس والنهاية ثم علق عليها بقوله: والأظهر في الآية استعمال

الفاحشة في مطلق المعنوية الفاحشة في قبها 13.

وفي قوله تعالى: (أَوْ يَكُونُتَهُمْ فَيَنْفَلِبُوا خَائِبِينَ) (آل عمران/127).

وفي معنى (يكتبهم) عرض أقوالا من المصباح والنهاية والقاموس والتبيان والكساف وعن الفراهيدي، ثم مال إلى معنى أقرب ما يكون مما قاله الخليل 14.

تجدر الإشارة هنا أنّ موقفه من آحاد اللغويين لم يكن مستعبداً بهم ولا مقلداً لآرائهم، فالقرآن الذي أُنزل على أفعى لغات العرب، وأكثرها تداولاً لم تخف معاني مفرداته على العرب إلا نادراً كما في كلمتي (أَبْسَا وَقَضَا) لكن بعد أن دخلت أقوام في الإسلام وتشرفت به، وتطورت اللغة العربية بسبب الاختلاط ومرور الزمن، عرض بعض الألفاظ المألوفة آنذاك أن صارت غريبة حتى أصاب ذلك الخواص، وهنا يشخص البلاغي الفصل بين اللغة الأصيلة والمولدة، ومن أجل معالجة الموقف يطرح التصور التالي: في تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم يجب الرجوع إلى ما يحصل به الاطمئنان والوثوق من مزاولة علم اللغة العربية، والتدبر في موارد استعمالها مما يعرف أربه من كلام العرب ولغتهم ويفيد: أنّ للتدبر في أسلوب القرآن الكريم وموارد استعماله وقراءتها دخلاً كبيراً في ذلك، وضرب نعى على اللغويين خلطهم للحقيقة بالمجاز، وعدم التثبت بالقرائن ومزايا الاستعمال، وضرب لذلك اضطراب اللغويين في تفسير معنى (اللمس والمس) كذلك اضطرابهم في معنى (التوقي) 15 وقد طبق البلاغي القاعدة في كيفية الاستفادة من معاني المفردات، فتتبع موارد استعمال اللفظة في القرآن وعند أهل اللغة، دونأخذ ساذج عن آحاد اللغويين.

الهوا مش

- آلاء الرحمن/356-357، النهاية 1/385، الكساف 1/427 والدر المنشور 2/247، لسان العرب 6/52، محمل اللغة 10/2، معجم مقاييس اللغة 9/2، تاج العروس 129/4.
- آلاء 28-27/2، وانظر التبيان 3/135، 1362، ولسان العرب 592/11، المصباح المنير 2/227 وтаж العروس 101/8، الصحاح 1811/5، ومجمع البيان 136/3، الكساف 485/1، والكاف 7: 99/2، 2، 3، التهذيب 9: 319/146، ومعاني الأخبار ص: 272، المستدرك 336/4، الموطأ 507/2، 515.
- وانظر آلاء 26، 76، 242، 237، 356، 357، 1/331.
- آلاء 229-228/1 (معنى الطاغوت) وصفحة 262-263 (معنى التزيين).
- آلاء 143/2، وانظر تفسير القمي 140/1، وتفسير التبيان 221/3، المصباح المنير 132/2، النهاية 409/3 والقاموس المحيط 28/4، الدر المنشور 561/2.
- آلاء 113-114/1-1 وانظر تفسير التبيان 389-388/1، القاموس المحيط 337/4، النهاية 236/2، آلاء 1/157، 168، 97، 233، 234.
- آلاء 2/6.
- آلاء 8: 372، 353، 1/190.

. 9 - آلاء : 1/86 _ آلاء 1/233 .

. 10 - آلاء 2/27-28، كما في معنى (الكلالة) كذلك اُنظر 2/12.

. 11 - اُنظر آلاء 88, 87, 57, 59, 234, 88 .1/88,

. 12 - آلاء 195, 216, 317, 316, 318, 318-201, 201-202, 283/2 تفسير الطبرى 4/20، تفسير ابن كثير 388/1، تفسير التبيان 543/2، مجمع البيان 805/2، للزيادة انظر آلاء 36-35/1 في (الתוقي واللمس والمس") 309/11 في معنى التوبة 270/1 في معنى الإيتاء .

. 13 - آلاء 343/1، وانظر النهاية 415/3، المصباح المنير 134/2، القاموس المحيط 2/293 .

. 14 - آلاء 340/1 وانظر تفسير التبيان 583-584/2، مجمع البيان، 831/2، الكشاف 412/1، المصباح المنير 208/2، النهاية 138/4، القاموس المحيط 161/1، العين 342/5، وللزيادة اُنظر آلاء 2/61, 136-137, 110, 109, 97, 194, 254, 302, 339, 302, 306/1 .

. 15 - آلاء 1/32-33 .

المصدر: مجلة قضايا إسلامية/العدد الثاني سنة 1995